" آليات الخطاب الإقناعي في رواية شارع الدِّيس"

علي فهمي خشيم- يوسف خشيم

د. أبوبكر محمد سويسي
الجامعة الأسمرية – ليبيا

ملخص البحث:

هناك جملة من الآليات تجاوزت بالخطاب مستوى التعبير إلى التواصل والإقناع، فمنحته طاقات من الإنجاز المقاصدي بين المتكلم والمتلقي، تقود لفهم دلالات سياقية جديدة من مكونات أبنية الخطاب، البلاغية منها والتداولية، فالخطاب الإقناعي على استراتيجية الإقناع بالتكرير، وتوزيع وصف الشخصيات بين تقديم الاسم والصفة، وعلى الألقاب المستقاة من هيئة الشخصية أو طبيعة عملها وإعادة إنتاج جديدة للإطلاق الأول، وعلى جملة من التداوليات مثلت تعزيزا لمستوى الإقناع في الخطاب الإقناعي، وعلى التأويل القائم على عمليات الوصف السردي.

Abstract

Search summary:

There are a number of mechanisms that go beyond speech to communication.

Persuasion is based on the strategy of persuasion by repetition, the distribution of descriptions of personalities between the presentation of name and character, on titles derived from the character's character or the nature of their work and a new restatement of the first release, on a number of deliberations

that have followed in order to promote the level of persuasion in the persuasive speech, and on interpretation based on Narrative Descriptions.

التقديم:

مع منتصف القرن الماضي تطور الدرس اللغوي وأضيفت للبلاغة مهام جديدة تجاوزت بها الارتباط بمجرد جماليات الأسلوب إلى الآثار الفعلية المتعلقة بالخطاب، بوصفه يحقق أبعادا تأثيرية وإقناعية، مانحة محللي الخطاب طاقات في المجال المقصدي بين المتكلم والمتلقي، تقود لفهم دلالات سياقية جديدة من مكونات أبنية الخطاب، البلاغية منها والتداولية، فالخطاب الإقناعي –كما لا يخفى– ركيزة أساسية في الحوار والسلام والوئام والتحضر، والمثاقفة بشكل عام، لذلك عرفت البلاغة الإنسانية اهتماما كبيرا بالخطاب الإقناعي منذ نشأتها، وإن حادت عنه وجانبته ردحا من الزمن منشغلة عنه بالجانب المعياري للبلاغة، وبما يحقق القيمة الإبداعية في استخدامات اللغة، فها هي اليوم تعود إليه مستفيدة من المؤدى المعرفي في فروع الدرس اللغوي الحديث.

سبب اختيار الموضوع:

هناك سبب ذاتي، وآخر موضوعي، فالذاتي هو ممارسة بحثية للباحث في موضوع التداولية والحجاج والإقناع في عدد من الأعمال النقدية، يحرص الباحث فيها على إضافة آليات نقدية مؤسسة على التطورات البحثية للدرس اللغوي، من شأنها أن تضفي قيما وجودية تجمع بين المستوى النفعي والجمالي، من خلال إسقاطها وتفعيلها على المنجز الإبداعي الليبي المعاصر، والموضوعي هو كون مدونة البحث– رواية شارع الديس– لم تُعرض – فيما أعلم– على المحك التداولي واستراتيجياته الإقناعية بعد، فكانت مجالا رحبا للدرس والتحليل.

إشكالية البحث:

تكمن فرضية البحث في محاولة الوقوف على المكون التقني اللغوي في مجموع العلاقات الدلالية للرواية، فهي تسعى للإجابة عن تساؤل مفاده: ما هي الاستراتيجيات والآليات الإقناعية التي حكمت عملية الإقناع والتأثير في رواية شارع الديس؟

خطة البحث:

- **مقدمة البحث.**
- **التمهيد: الخطاب الإقناعي – الماهية والأهمية–**
- **المبحث الأول: الآليات اللغوية وطاقاتها الإقناعية.**
- المطلب الأول: بنية التكرير.
- المطلب الثاني: حركة الأسماء والصفات.
- المطلب الثالث: فاعلية اللقب في أبناء الشخصية.
- **المبحث الثاني: الآليات التداولية وتشكل الخطاب الإقناعي.**
- المطلب الأول: تداولية التضاد في البناء السردي.
- المطلب الثاني: تداولية السرد القصصي.
- المطلب الثالث: تداولية التأويل الإقناعي.
- المطلب الرابع: تداولية الظواهر السردية والوصفية.

- **الخاتمة:** النتائج والملحوظات.

التمهيد: الخطاب الإقناعي – الماهية والأهمية–

مع منتصف القرن الماضي تطور الدرس اللغوي وأضيفت للبلاغة مهام جديدة تجاوزت بها الارتباط بمجرد جماليات الأسلوب إلى الآثار الفعلية المتعلقة بالخطاب، بوصفه يحقق أبعادا تأثيرية وإقناعية، مانحة محللي الخطاب طاقات في المجال المقصدي بين المتكلم والمتلقي، تقود لفهم دلالات سياقية جديدة من مكونات أبنية الخطاب، البلاغية منها والتداولية، فالخطاب الإقناعي –كما لا يخفى– ركيزة أساسية في الحوار والسلام والوئام والتحضر، والمثاقفة بشكل عام، لذلك عرفت البلاغة الإنسانية اهتماما كبيرا بالخطاب الإقناعي منذ نشأتها، وإن حادت عنه وجانبته ردحا من الزمن منشغلة عنه بالجانب المعياري للبلاغة، وبما يحقق القيمة الإبداعية في استخدامات اللغة، فها هي اليوم تعود إليه مستفيدة من المؤدى المعرفي في فروع الدرس اللغوي الحديث.

إن حركة البحث مؤسسة على رصد الآليات الإقناعية المتعلقة بالخطاب السردي، مما يعد مثيرا لإشكالات كبيرة ومتعددة بتعدد الآراء وكثرة التصورات حول طبيعة تلك الآليات المرتبطة بالبعد الاجتماعي من جهة، ومن الخواص الكامنة بين مصطلحي النص والخطاب من جهة ثانية، وذلك لما يكتنف كلا منهما من مقام تخاطبي ينجز من خلاله الخطاب الملفوظ، أو النص المكتوب، فما اقترن بالكتابة هو خطاب أيضا له مقامه التخاطبي، ولا يمكن تحليل مستوياته بمعزل عن المقام، ومجال تحليل الخطاب يُعنى باللغة المنطوقة ضمن السياق، وعلى كل فإننا معنيون هنا بالوقوف على الدور الخطاب الاجتماعي، والحاجة التي تستدعي ذلك، والتنامي التاريخي لمساراته.

فمنذ القدم والإنسان يسعى إلى أن يُوصِل فكرته للمتلقي بطرق متعددة، ولعل أبرز وأنجع تلك الطرق ما خاطبت أبواب العقل وقصدت بلوغ التسليم العقلي، والاقتناع

بالفكرة، وهذا ما استعمله الإغريق والرومان، وظلّ الأمر على هذا النحو إلى عهد أرسطو، حين انتهج نهجا مخالفا فيه أفلاطون، فانقلب على السفسطائيين، وساعده في إنجاز ذلك تنظيمه للخطاب الإقناعي، فقسّم خطابه إلى ثلاثةِ محاور رئيسة : "الإيتوس" ويتعلق بالمتكلم، و"الباتوس" وهو المخاطب أو الجمهور، بالإضافة إلى "اللوغوس" وهو الخطاب والقول من حيث قدرته على الإقناع. وكان هذا التقسيم أساسا في هندسة بناء الخطاب الإقناعي، فالخطابة قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة، كما أنها صناعة قياسية غرضها الإقناع (الريفي. 1998. 4).

إن الدراسات المعاصرة تتجه نحو الفكر اليوناني، وبخاصة فكر أرسطو الإقناعي، فكان " الحنين من جديد إلى " ريطورية " أرسطو التي تتوسل إلى الإقناع في كل حالة على حدة بوسائل متنوعة حسب الأحوال" (العمري. 2002. 14).، ولا تزال رؤى أخرى تلحظ في تحليل النص الطريقة ذاتها في تحليل الخطاب، فالتحليل الإقناعي يشمل كل الوحدات اللغوية المنطوقة والمكتوبة في محاولة تأطير الوظيفة الاتصالية، (الفقي. 2000. 35)، ولعل التجوز في استعمال كل من النص والخطاب هو ما جعل قدرا من الإبهام والغموض في التمييز بين المصطلحين، فشمل التحليل الإقناعي كل الوحدات اللغوية التي لها وظيفة اتصالية معينة، فكنا أمام النص المحكي والنص المكتوب، والخطاب المحكي والخطاب المكتوب، مما رتب مزيدا من التداخل بين المصطلحين.

هناك قيمة الصيغة والشكل، وقيمة التفاعل والانسجام،

فحين يتميز النص بانسجام في الشكل والصيغة، يتميز الخطاب بانسجام أعمق من حيث الدلالة والمعنى، "(فالنص لا يحقق التفاعل مثلما هو الحال مع الخطاب فهو لا يصلح لهذه المهمة ، كما أن النص لا يتحقق فيه الانسجام إلا بتوافر أدوات معينة تكون هي السبيل لتحقيق انسجامه ، في حين أن الانسجام في الخطاب يكون من ناحية الدلالة" (الفقي. 2000. 35).

فالنص موضوع لعديد من الممارسات السيميولوجية التي يعتد بها على أساس أنها ظاهرة غير لغوية، بمعنى أنها مكونة بفضل اللغة لكنها غير قابلة للانحصار في

مقولاتها عند كشف العلاقة التواصلية بين الكلمات، فهناك بنيات تربطها بأنماط مختلفة من الأقوال السابقة والمتزامنة معها (كريستيفا. 1997. 13) فإذا كان النص هو الناتج الفعلي للعمليات الاتصالية فإن الخطاب ومنه الخطاب الإقناعي هو الواقع الفعلي التي تتجلى فيه النصوص في هيئة أفعال خطابية إجرائية.(العبد. 2005. 11).

أضافت فكرة السياق أن التعبير عن الأفكار ليس الوظيفة الوحيدة للغة، بل لها وظائف عدة باعتبارها نوعا من السلوك منها الإقناع. (السعران. 1962. 383) فالسياق هو " المحيط بمعنى الوحدات التي تسبق والتي تلحق وحدة معينة"(حمودة. 2002. 213). وعليه فالإقناع لا تقتصر ماهيته على مجموعة الوظائف اللغوية، بل بإضافة السياق إليها، فحين اتسع مفهوم السياق وأصبح مصطلحا سائدا في التحليل اللغوي وتطور مفهومه، وبخاصة في الدرس التداولي الإقناعي، فصار يحوي كل الظروف المحيطة بعملية التلفظ، التي هي " مجموعة الظروف الاجتماعية التي يمكن أن تؤخذ بعين الاعتبار في دراسة العلاقات بين الموقف الاجتماعي والموقف اللساني، فالسياق الموقفي أو سياق المقام هما المعطيات المشتركة بين المرسل والمتلقي حول السياق الثقافي والنفسي، الخبرات ومعارف كل واحد منهما (ازمينكو. 2001. 9).

فإدراك المعنى الإقناعي لا يتأتى إلا بمعرفة العناصر المكونة لسياق المرسل الذي أنتج الخطاب، والمرسل إليه الذي وجه إليه الخطاب، والظروف المحيطة بهما أثناء تخاطبهما، ودون التعرف على هذه العناصر يبقى فهمه لماهية الخطاب الإقناعي فهما منقوصا (دايك. 2000. 258)

وهنا يكمن التمايز بين الكفاية اللغوية عند التكلم عن الكفاية الاتصالية، فإن كانت الأولى مختصة بالجانب القواعدي للغة، فإن الأخرى معنية بالاستخدام الأمثل لحيثيات الخطاب، من حيث وضعها في سياقاتها المحيطة بها، والكفاية الاتصالية هي التي تمكن المرسل إليه من إدراك المقصد الإقناعي للخطاب، وعليه أن يستحضر كل هذه

الملابسات المتعلقة ببنية الخطاب الإقناعي المنجزة له، وأن يتحرك من عندها– الملابسات– نحو المقاصد الكامنة فيها(يونس. 149). (الشهري. 59)

ويبقى التمايز بين النص والخطاب مؤسسا على أن النص في الأساس بنية، وأن الخطاب في الأساس موقف، غير أن الإصرار على ربط النص بالمقاصد يعيد هذه القضية جدعة في متاهة التشابكات والدوائر المعقدة، من هنا يسعى البحث بعد هذا التقديم إلى مقاربة تداولية الفعل الكلامي ومنهجيتها في تحليل الخطاب الإقناعي في رواية شارع الديس، تلك المنهجية التي نظرت إلى الأدب بوصفه فعلا لغويا يدل عليه فعل المتكلم، وإدراك مقاصد الكلام والمنطوقات اللغوية يتوقف على استيعاب سياقات الاتصال في الاستعمال اللغوي، وما يكون لها من وظائف إجمالية التي هي محل القصد الكلامي، إضافة إلى الفعل الكلامي التعاوني، الذي يشترك في أدائه أكثر من متكلم، وعندها تكون منطوقات الأفعال الخطابية الإقناعية قد تعينت مقاصدها في الإطار الداخلي للخطاب ذاته، (العبد. 281).

وهناك أيضا جهود اعتمدت في تخليل الخطاب التمايز بين اللغة الأدبية واللغة الأدائية، وكيف يمكننا أن نحول اللغة الأدبية إلى لغة أدائية، لما في اللغة الأدائية من مكنة تجعلنا نفكر في الأدب بوصفه حدثا أو فعلا، فتصور"الأدب بوصفه منطوقا أدائيا يؤدي إلى دفاع عن الأدب، فالأدب ليس مقولات زائفة وتافهة، ولكنه يأخذ موقعه بين أفعال اللغة التي تحول العالم خالقة الأشياء التي تسميها" (كولر. 2003. 135). فالمجالات التطويرية تطور في النظرية اللسانية تقود إلى تطور مماثل في النظرية الأدبية يتساوق معه في الاتجاه وفي نسبة الطاقة المنجزة لفاعلية الإقناع، ومن أهم الملامح الجوهرية والمفاهيم المركزية لنظرية الفعل الكلامي في حقل تحليل الخطاب هو مفهوم استراتيجيات وآليات الإقناع الذي هو موضوع هذا البحث.

إن تحديد ماهية الآليات الإقناعية في الخطاب الإقناعي يستلزم الإحاطة بعدد من الفروقات والدلالات ذات العلاقة بالفعل الكلامي، فمن الأسس المهمة التي ينبغي الانطلاق منها في تصور تلك الآليات الإقناعية أن يسبق المتلقي بمعرفة المفاهيم عدد من المصطلحات، كالعلاقة بين معالم قوة الخطاب الإنجازية والمقصدية والسياق، فهذه

الأصول يفترض حضورها– ذهنيا– في تحليل الخطاب الإقناعي، إذ هي إرشادات لما من شأنه استكمال التمثل الأكمل لمفهوم الآلية الإقناعية للخطاب الإقناعي.

فما تقدم يؤكد أن آليات الإقناع هي تحقيق لمقصد المتكلم تحقيقا ناجحا، غير أن وجهة أخرى لمؤسس من مؤسسي تداولية أفعال الكلام – سيرل– يعمد إليى اعتبار المتلقي في الإحاطة بمقصد الكلام، ذلك أنه ليس بالإمكان لأحد من محللي الخطاب أو المقاربين له أن يتأكد من استيفاء مقصد المتكلم؛ لعدم التمكن من اختباره والاطمئنان إلى بلوغه، بخلاف المتلقي الذي تتراآى على ملامح ذاته من استجابات وتحولات سلوكية تؤكد تحقق تقدم اتصالي وتفاعل لغوي (نحلة. 75).

المبحث الأول/: الآليات اللغوية وطاقاتها الإقناعية

تمثل العناصر اللغوية محورا مهما في النصوص الحجاجية الإقناعية، إذ اللغة هي الوعاء الناقل للمعنى الحجاجي ونتيجته الحجاجية في كل قياس منطقي، فالحجاج من أجل كسب الأفكار المناهضة واستدراج متبنيها إلى المقدمة الحجاجية المؤسسة للعمل الحجاجي، والعمل على مصداقيتها وفاعليتها في المتلقي، ولانطلاق العمل الحجاجي من قاعدة التحول تبعا لتحول المقام بخلاف الاستدلال القائم على الثبات مع كل المقامات والمضامين؛ لذلك استدعت عملية الإقناع الحجاجي البحث دوما عن بدائل تراكبية ومتواليات لغوية ذات صلة وثيقة ببناء الخطاب الإقناعي، وهذا ما سنحاول الوقوف عنده في الأنموذج الإبداعي الذي تم اعتماده في تحليل الخطاب الإقناعي في رواية شارع الديس، سواء كان ذاك على مستوى اللفظ أو على مستوى تكثيف الأبنية لنمط من التراكيب اللغوية، أو من جهة توزيع المفردات والجمل والإحالات الضمائرية، وسوى ذلك من وجوه البحث اللغوي، مما يفي بتحقق الأقناع لدى متلقي الخطاب الروائي.

1. بنية التكرير

ليس التكرير مجرد تردد لملفوظات بأعداد معينة لا علاقة لها بالجانب الدلالي، بل إنه يحوي جملة من الوظائف الخطابية ومنها الوظيفة الإقناعية، أطلق عليها اللغويون القدامى بالإفهام والإفصاح، فهناك هيئات تكريرية تعنى بأحوال السلوك ومتغيراته لدى المتكلم، فإذا" صدر الأمر من الآمر بلفظ التكرير مجرد من قرينة تخرجه عن وضعه ولم يكن مؤقتا بوقت معين كان ذلك حثا له على المبادرة إلى امتثال الأمر على الفور، فإنك إن قلت لمن تأمره بالقيام: قم قم قم، فإنك تريد بهذا اللفظ المكرر أن يبادر إلى القيام في تلك الحاضرة" وللتكرير تعلق بالسبك النصي في اللسانيات النصية، حين يحيل النص المكرر على نص سابق يرتبط به من خلال الإحالة عليه، ونهدف من عرض الخطاب في مدونة البحث إلى الكشف عن الحالة التي يكون فيها التكرير مؤديا للوظيفة الاتصالية الإقناعية، فالتكرير مقرون بتأكيد الحجة ومد القول، ومن ثم فهو يربط بين مد القول وبلوغ الإقناع، ويجمع العمل التحليلي للخطاب الإقناعي بين تكرير اللفظ وتكرير المضمون في رواية شارع الديس.

المبحث الأول: تكرير الألفاظ

- وللتكرير اللفظي تعلق بالسبك المعجمي في اللسانيات النصية، فاللفظ المكرر يحيل إلى لفظ سابق يرتبط به بالإحالة المشتركة بينهما، إلى غير ذلك من الوظائف المتنوعة والمتعددة التي يؤديها التكرير.

ونحن نسعى في بحث بنية التكرير هنا من أجل كشف الحالة التي يكون في التكرير مؤديا للوظيفة الاتصالية الإقناعية، وقد أشار إليها العرب القدامى إشارات مهمة تدل على دورها الوظيفي الهام، فنرى التكرير مقرونا بتأكيد الحجة، والربط بين القول وبلوغه الشفاء والإقناع، (العسكري. 157) ومثل هذا أشار إليه المعاصرون في أن الحجاج يعتمد على العرض اللغوي للدعاوي الحجاجية بتكريرها وصياغتها صياغة فاعلة، وتحليتها بالخواص التركيبية والتحسينية المكررة، إلى الحد الذي ارتبطت فيه هذه البنية بالثقافة العربية، وسميت بلاغيا باستراتيجية الإقناع بالتكرير واستراتيجية العرض، أي استحضار الشيء أمام الإنسان حتى يتعلق به شعوره. (العبد. 154).

فكانت الرواية متضمنة هذا اللون من الربط بين أجزاء الخطاب تحقيقا لقيمة التأثير والإقناع، فكرر قوله: أمطرهم ويمطرون، فقال في حدث كراهية خالد بن مصطفى أفندي لليهود ومضايقته لهم: " ... في ليلة عيد من أعيادهم جمع أحجارا في سوريته وأمطرهم بها... رأى مجموعة من الشباب يمطرون بيت شوعا..."(خشيم. 2019. 21) وكذلك لفظ – الحرايمي– في حدث تزلف اليهود لأرباب السلطة فقال: " فقرر خموس أن يدعوه على وجبة غداء ويقدم له الحرايمي... سيدي علي الحرايمي لا زال الحرايمي يعوم في كرشك... يا خموس من حقك أن أشكرك على الحرايمي.." (خشيم. 2019. 39)

المبحث الثاني: تكرير المضمون:

جاءت نماذج التكرير المضمون في الرواية رابطة بين جملة من الأحداث يجمع بينه مقام سردي أو وصفي واحد:

فهناك في وصف شوعا اليهودي، يقول:" كان شوعا رجلا في نحو الأربعين يومها، غليظ العنق..." (خشيم. 2019. 20)

ومثله مضمونا: كان الدوكالي ذا بنية متينة قصيرة ، مشدود العضلات " (خشيم. 2019. 29). وفي سياق الوصف ذاته وهو الامتلاء مع القصر نلحظ أيضا قوله: " يسميه الأهالي – الربّي– رجل قصير القامة"(خشيم. 2019. 36)

ويتكرر الوصف المذكور بلفظة – رَبْع– في قوله: كان" ربع القامة ممتلئ في نحو الخمسين من العمر"(خشيم. 2019. 18)، ومرة أخرى في وصف اليهودية " قرَّانة هذه كانت امرأة ربعة مقترنة بخَمُّوس قْرَاجِي.." (خشيم. 2019. 37) وأخرى في وصف – شرادة– التي يصفها مصباح بن خليل الدنجال لحسن الكواش، قائلا: " أما الشعر فيا سبحان من خلق، فاحما ينسدل ليغطي الكتفين البضتين، وينحدر إلى ما تحت الوسط، ممتلئة، ربعة القامة..." (خشيم. 2019. 45) ، فتربط هذه التكريرات النسيج الإقناعي داخل الخطاب الروائي، فتغدو من بين آليات الإقناع فيه.

وفي سياق سردي آخر يعمد الخطاب الإقناعي إلى تكرار مضمون بعينه في محطات سردية متعددة:

منه تكرير مضمون الوطني والمحلي في قوله: " جرار عند مدخلها تفوح منه رائحة المشروب الوطني... رُصت زجاجات النبيذ الأحمر المصنوع محليا.." (خشيم. 2019. 18). ومنه أيضا: " ... لقيا من شظف العيش... وحر الشمس وبرد الشتاء ما لقيا"(خشيم. 2019. 25)

وكذلك تكرير مضمون البقعة التي لم توطأ " مكان لم تطأه أقدام إنسان ولم يقطنه بشر ... حيث الصحراء القاحلة ... لا ماء فيها ... ولا زرع ولا حياة هناك استقر بهما المقام"(خشيم. 2019. 24) .فالخطاب الإقناعي يعتمد على التقنية اللغوية لخاصية المفردات المترادفة التي تشكل مع نظيراتها دوائر دلالية تتداخل أطراف منها مع بعضها وتستقل أطراف خرى بخصوصية ما، فما تطأه القدم يتداخل معنويا ودلاليا مع ما لم يقطنه بشر، لكنه من المؤكد أنه لا يلابسه تماما، فالمقصد من التكرير ليس مجرد الإعادة الوفاقية والتوافقية بل الإعادة بطرح أنموذج لغوي جديد يحمل وصفا للموصوف ذاته لكن من زاوية تقترب وتبتعد في آن واحد.

من هذه القيمة اللغوية ذهب الراوي إلى توظيفها في إقناعية الخطاب السردي.

2. حركة الأسماء في الوصف الإقناعي

مما يلاحظ لدى وصف الشخصيات توزيع عملية الوصف بين نمطين من الاستخدام اللغوي من حيث التقديم والتأخير، فتقدم تارة أسماء الشخصيات على صفاتها، وتارة العكس، ومما تكرر ويبقى بحاجة إلى مزيد من النظر أن الشخصيات الأجنبية عادة ما تقدم صفاتها على مسمياتها، بخلاف الشخصيات العربية، فنراه يصف سكان الشارع من أهالي المدينة، من هذا:

" كان إبراهيم بوخة أول الصاحين، فيمضي مباشرة إلى ظهر الكوشة حيث الباب المفضي إلى مدخلها الخلفي، ... ليشعل النار، ثم يشرع في لقمها بما جمعه طيلة اليوم السابق من مخلفات في طرقات البلدة"(خشيم. 2019. 21).

ومثله: " كان حسن الكواش في أواخر الثلاثينيات من أعوامه، ذو عينين سوداوين حادتين، صامت في أغلب الأحيان، وكان كسيحا لا يقوم على ساقيه، ... يبادل بين ساقيه الكسيحتين خارجا من المنزل نحو شارع الديس حتى يصل إلى خمارة المالطي..." (خشيم. 2019. 25)

أما مع الشخصيات غير العربية فيأخذ الوصف مسارا مغايرا، مقدما التوصيف عل الأسماء، ففي معرض وصف قاطني شارع الديس يقول:" ... وواحد لعائلة مالطية مكونة من أخوين وأولادهما، أحد الأخوين هو صاحب الخمارة في شارع الديس ... أما الآخر فكان طويلا نحيفا يعتمر قبة صقلية تغطي جبهته وتخفي صلعته، وهو يمشي منحني الظهر، إذ كان تجاوز الستين بجملة سنوات، وذلك هو جَنِّي"(خشيم. 2019. 18) ونحوه في وصف زوجته المالطية" ... زوج المالطية القصيرة المرحة باولا" (خشيم. 2019. 18).

ولعل هذا أدعى في تفاعل الإقناع مع الخطاب السري، إذ يبقى المتلقي للخطاب الإقناعي بحاجة أشد إلى بيان مكامن الأكثر غموضا، وتبقى الصورة الناجمة عن الوصف الحدثي أكثر احتياجا لمتلقي الخطاب الإقناعي من تجريدية المسميات.

3. فاعلية اللقب مع الشخصية

طغت الألقاب المستقاة من هيئة الشخصية أو المكان أو طبيعة العمل على شخصيات الرواية، إذ بدت الألقاب عاملا يمثل التجسيد الفعلي للحدث السردي، المفضي إلى التأثير والإقناع، فإطلاق اللقب يمنح الحدث قوة إنجازية استمدت من دلالة اللقب، وعلى قدر تلبس اللقب بالذات ينجز القدر الأوفى من الإقناع في الخطاب الروائي، خاصة – وهذا شأن ألقاب الرواية– ما كان منها حاملا لعنصر السخرية والطرافة، فحضوره في العمل الروائي طاقة إقناعية تعمل على حضور التأثير والتواصل مع

متلقي الخطاب، وذلك لكون هذا الحضور التهكمي هو إعادة وإنتاج جديد لذلك الإطلاق الأول على الشخصية، مثلا هناك الخبازون الأربعة:

" كان الخبازون أربعة، عمر الفرطاس الذي لم يبق في رأسه إلا بقع متناثرة من الشعر نتيجة مرض القرع... وحمَدْ خاله، المشهور ب اعْميمي؛ لأنه كان ينادي الجميع بتصغير عمي، ... وسالم الأقطع؛ لأنه فقد ذراعه عند انفجار لغم من بقايا الحرب العالمية الثانية، كان يحاول فكه ... وعبد الله الزينقو وهو المعروف بمسكنه في في كوخ من الصفيح ورثه عن والده"

وقس على هذا جل شخصيات الرواية، فكان اللقب داعما إقناعيا من خلال الربط الفني بالصورة من جهة وبالوظيفة من جهة أخرى، إذ غالبا ما تستتبع الألقاب بذكر وظيفتها في الحدث السردي، فهؤلاء الخبازون الأربع يتبعهم بسرد مهامهم" ... ثمة خامس المجموعة مفتاح شكوكو، لأنه كان يحب الفنان محمود شكوكو ويقلد حركاته، ويحفظ أغانيه التي يشاهدها ويسمعها في الأفلام المصرية، وهذا ليس خبازا، وإنما كانت مهمته إعداد الشاهي للخبازين ومدهم بأكوابه الصغيرة أسود كثيفا... فيحتسون منه رشفات متتالية يتمطقون بعد كل رشفة وأقدامهم لا تسكن رافسين عجين الخبز، المخمر في أحواض خشبية حتى يتمالك"(خشيم. 2019. 25).

فإن كانت دعوى القضية تصوير شارع الديس في منتصف القرن الماضي بكل سياقات الزمان والمكان فإن اللقب واستحضاره مع الأداء العملي للشخصية يضع عنصر الإقناع بمقصد الراوي في معدل إنجازي يسمح بوقوع التواصل والتأثير مع المتلقي.

المبحث الثاني:

الآليات التداولية وتشكل الخطاب الإقناعي

من بين ما يتعلق بآليات واستراتيجيات التواصل التداولي التي تسهم في تشكل الخطاب الإقناعي بما تحويه من ممارسات تواصلية إقناعية تشهد على مدى سعة الأفق الإبداعي، والوعي العميق بجملة النماذج والنظريات التي تساعد في الإنجاز

الإقناع، وتتجلى هذه الممارسات والآليات في مجموع المنطوقات اللفظية للغرض الإنجازي ومتعلقاتها الأسلوبية، فكان انتقاء الأسلوب في عرض قضايا ودعاوى الإقناع، وفي طبيعة المستهدفين بالخطاب الإقناعي، ومدى توظيف المنطوقات والصياغات في توجيه حركة المناورة نحو إنجاز مقصدية الخطاب.

1. تداولية التضاد في البناء السردي.

تأسس الخطاب الإقناعي في الرواية في مواضع متعددة منها على قيمة التضاد المطلق، فهناك أنماط شتى مثل ملامحه، منها:

- تضاد في بناء الشخصيات: فهذه دوجة– و–فطيمة– بين النحافة والبدانة" ... وأما دوجة فكانت أكبر الأختين... ممتلئة نوعا ما،... بعكس شقيقتها فطيمة البالغة النحافة"(خشيم. 2019. 29)، وكذلك شخصية –الشريول– الذي يجمع بين كمال المعرفة وصفة الأمية، " الشريول.. إنسان أمي، لكنه عليم بفنون التجارة والاقتصاد والمال، يجيد حسبة أي مبالغ حسابية– دمغي– أي دون ورقة وقلم"(خشيم. 2019. 41).

وشخصية حسن الكواش، الذي كان" يرتدي بزة بيضاء تشع نظافة وأناقة وقد لمع حذاءه الأسود...وهو يبادل بين ساقيه الكسيحتين خارجا من المنزل ليمضي في شارع الديس حتى يصل إلى خمارة المالطي، فيدخلها ليخرج في منتصف الليل قافلا إلى المنزل وقد ظهرت عليه أمارات السكر، كان سي حسن رجلا بالغ التهذيب في معاملته للجميع وكان محبوبا ومحترما من الجميع"(خشيم. 2019. 26).

- تضاد في الأحداث: مر الفقي حمد في حياته بحالين متضادين، جمعا في ممارسة التجارة بين الربح والخسارة، فبعد قيامه باستراحته التي خلدت اسمه إلى الآن في منطقة أبوقرين وطاب عيشه فيها ما لبث أن تحولت حاله إلى عوز في غفلة من الزمن" ومن العدم خلق الحياة.. فنمت تجارته.. لكن رغد العيش لا يدوم.. ومات فقيرا معدما"(خشيم.

2019. 25)، ومنه سكنى إمام المسجد الشيخ عبد السلام المجاور لبيت الحاخام" غير بعيد عن بيت الحاخام كان يسكن الشيخ عبد السلام"(خشيم. 2019. 36).

تداولية السرد القصصي:

وقد تنوعت موضوعات السرد القصصي بين الموروث الديني والثقافي والحكائي الشعبي.

- **الموروث الديني:** نلحظ اعتماد الخطاب الإقناعي على نمط من التناص السرد الديني، عند تكرار مشاهد تصويرية مماثلة لأحداث تاريخية دينية، منها:

" على مسافة مائة وعشرة كيلو مترات حيث الصحراء القاحلة، حيث لا ماء فيها ولا زرع.." فهذا تساوق مع النص القرآني في قصة سيدنا إبراهيم حين أسكن ذريته بواد غير ذي زرع.

ونبقى مع سيدنا إبراهيم في تحول النار معه إلى برد وسلام، في توصيفه لشخصية سيدي خليفة" أنه كان يدخل إلى الكوشة بكامل جسده وهي في عز سخونتها وحرارتها ويتمرغ على سطحها الملتهب ويأكل من طواجينها اللذيذة ثم يخرج معافى دون أن يمسه لهيب النار ولا صهدها" (خشيم. 2019. 32)، وأيضا مسألة الإلقاء في البئر، وتأتي قصة سيدنا يوسف مع الجب في سقوط يوسف شقيق علي فهمي في بئر المنزل، " بعد أن وصلني خبر سقوطك في الجب وأنا في الجامع أحفظ القرآن، شكرا للجب الذي لفظ جسدك ولم يبتلعك يا يوسف" (خشيم. 2019. 77). وتكرر مشهد السقوط في البئر حتى غدا تداولية سردة بالإمكان تأويلها، في مشاهد متعددة من الرواية (خشيم.32. 35. 76)

الموروث الحكائي: وفي معرض رواية جوانب من مركبات شارع الديس، باحة لصلاة العيدين تتحول إلى سوق في أيامه الثلاثة؛ لبيع الحطب والتبن والقطط والكلاب، وبها تبة، اتخذت منبرا للخطيب، هنا ينتقل السرد إلى الموروث الشعبي الأسطوري وما

يضفيه من أسرار عن هذه التبة، وهي"تجثم فوق كنز لا يقدر بثمن الذهب والجواهر واللآلئ،... لا يفتحه إلا حاج من المغرب وبالتحديد من الساقية الحمراء، وهو كنز مطلسم لا يفتح إلا بإراقة دم فوق التبة، وهذا الدم لا يقبله الجان الذين يحرسونه ولا يفتح الكنز ويظهر للعيان إلا أن يكون دم طفل يوجد في كفه الأيمن ما يسمى بالخاتم، وهو خط يقسم كف اليد اليمنى إلى نصفين... وكان من عادة الحجاج القادمين من بلاد المغرب أن يمروا من طريق تسمى الحاجية وهذه الطريق تمر من تخوم البلدة...لهذا السبب كان الأطفال يختفون داخل بيوتهم طوال الفترة التي يتواجد فيها هؤلاء الزعاليك"(خشيم. 2019. 56) .

2. تداولية التأويل الإقناعي

في حال السرد المتضمن وصفا أو حكما على المقام السردي عادة ما يعقب بتأويل يبين علة الحكم أو طبيعة الوصف سواء تعلق بالشخصيات ذاتها أو بالحدث الناتج عنها، فنراه في وصف شخصية– ارميضة– الذي لا يملك سى مزمارا اتخذه من القصب، وكان " يسند رأسه إلى وسادة من الخيش محشوة تبنا، ويستلقي فوق ظهره رافعا ساقيه النحيفتين، ويشرع في العزف... وكان عازفا ماهرا يرسل بعدها أنغاما شجية حزينة، وتلعب أصابعه بمختلف الألحان تطريبا وترديدا لأغان محلية شهيرة...كان في الواقع يرسل أنغامه إلى أي بنت من بنات الحي علها تصيب منها مقتلا فترتمي في حضنه ذات يوم هائمة بحبه وغرامه"(خشيم. 2019. 29)، فعلل العزف برغبته في إقامة علاقة عاطفية بفتاة من فتيات الشارع.

ومن هذا تأويل دخول– دوجة– على ارميضة وهو يطحن حبات القهوة في مجلس أبيها دون اعتراض منه، تحمل حبوب القهوة المحمصة، فيأتي التأويل الإقناعي ليحل إشكال الحدث المتعاند مع أعراف الشارع،" فالعادة أن تحجب الفتاة بمجرد بلوغها الثامنة من سنيّها، فلا ترى الشارع مطلقا حتى تخرج في موكب عرسها"(خشيم. 2019. 30) ، كيف وهي تجاوزت اليوم عشرين سنة تدخل على–ارميضة– ؟ والواقع

الإقناعي " أن ارميضة في رأيه لا يؤبه به بين الرجال، ولا يمثل خطرا على ابنته المتفجرة شبابا ولهفة"(خشيم. 2019. 30).

وكذلك تأويل حدث تداخُلِ ألحانه وعدم اتساقها، مع ما له من مهارة العزف، فتتداخل ألحانه حين يشاهد ابنتي مصطفى أفندي راجعتين من المدرسة، وكانتا الفتاتين الوحيدتين اللتين تدرسان من فتيات شارع الديس، فحين يراهما" تتداخل ألحان عزفه، فلا يعرف أيعزف ألحانا تطرب أم ألحانا تحزن؟ لقد جُنّ جنون المزمار، وكاد أن يكسر بين أصابعه.. مسكين ارميضة.. لقد قرر أن يتزوجهن كلهن، ولم لا؟ الشرع حلل في أربعة، وارميضة تحت الشرع"(خشيم. 2019. 31).

3. تداولية الظواهر السردية والوصفية

من بين ما تأسس عليه الخطاب الإقناعي في الرواية تداول الظاهرة في أحداث الرواية، سواء كان التداول الظاهراتي على صعيد السرد الروائي أم على سبيل وصف الشخصيات.

- **الحضور الهندسي في السرد**

يتكئ البناء السردي في الرواية على رسم الاتجاهات الطولية والأفقية، في قوله:

" كان يفصل المدينة الساكنة شرقا وغربا"(خشيم. 2019. 17)' وأيضا " أحدها يمتد شمالا ليجتاز مساكن اليهود"(خشيم. 2019. 18) ، وأيضا في توصيفه لما يسمى بالخاتم في أكف الصبيان، يقول" وهو خط يقسم كف اليد اليمنى إلى نصفين"(خشيم. 2019. 56)' وكذلك الخطوط المركزية والفرعية التي يتم بها تدقيق الوصف، فالأسر الليبية" تقطن بيوتا في شوارع جانبية ضيقة تتفرع عن الشارع الرئيسي"(خشيم. 2019. 56)' وفي وصف آخر" في شويرع متفرع من ساحة الضوء"(خشيم. 2019. 36)، وأيضا في توصيف رجوع مصطفى أفندي من عمله، " بعد أمتار توقف عند تقاطع شارعين فرعيين يفصلان شارع الديس"(خشيم. 2019. 51)

وكذلك يتم الاعتماد على الدوائر الجامعة لتلك المسارات، وهي الساحات والقاعات والباحات،" قاعة الضوء تتوسط جملة من البيوت المتراصة يسند بعضها بعضا"(خشيم. 2019. 36)، وأيضا " من هذه القاعة ينفرج زقاق جانبي، أول بيت في بدايته وعلى جانبه الأيسر يقع بيت الصول– قدورة–" (خشيم. 2019. 31)، وأيضا" وكانت الكوشة مركز الدائرة في ذلك الحي" (خشيم. 2019. 32).

وأيضا حضور ظاهرة انكسار الضوء في تحديد ملامح الموصوف، فحين يصف ما يقوم به خالد–وهو شقيق الراوي– من مشاهد تمثيلية، فكان" يستغل الشمس الغاربة كي ينعكس ظله على حائط الكوشة الغربي"(خشيم. 2019. 20)، وكذلك في تحيد مكان قيلولة سيدي خليفة، حين كان" يتمدد بعد الغداء في الظل الشرقي المقابل لبيته يئن ويتأوه..." (خشيم. 2019. 33) ، وفي وصف لحسن الكواش نرى تفعيل ظاهرة الانكسار، حيث " كان النهار يمضي إلى نهايته، وقد امتد ظل الحائط حتى ليطاول الحائط المقابل، فيجلس على حصيرة كانت هناك"(خشيم. 2019. 43)، وكذلك وصفه رجوع مصطفى أفندي من عمله " ... ارتسم ظله أمامه بفعل الشمس الغاربة التي كانت تداعب ظهره..." (خشيم. 2019. 39).

- **تداولية خيبة الأمل والفشل.**

انطبع الحدث الروائي في عمومه بالفشل الملاحق لتلك الأحداث، فبدء من تجارة – الفقي حمد– التي آلت إلى االخسارة، (خشيم. 2019. 21)، إلى فشل شكوى اليهود من خالد حين كان يرمي بيوتهم بالحجارة، فشكوه للشرطة ولشهادة مختار الزليتني – مدعيا– أن خالدا لم يكن من بين من فعل ذلك،(خشيم. 2019. 33) ، فشل وفد ترهونة في طلبهم من سيدي خليفة الذهاب معهم لإخراج جني من المرأة لهم،(خشيم. 2019. 33).

فشل اليهودي–حموس– في التودد للسلطة المتمثلة في رجل الحرس البلدي–علي احنيش– الملقب بشيشيليا، فبعد أن عزمه على وجبة –الحرايمي– وكوب الشاي الأخضر خرج فوجد فضلات السمك في الشارع فحرر له مخالفة دون اعتبار لما قدم

من ضيافة، قائلا: " سيدي علي.. الحرايمي لا يزال يعوم في كرشك، فكيف تحرر لنا مخالفة؟ ابتسم العم علي شيشيليا وهو يسلمه المخالفة وقال: يا خموس من حقك أن أشكرك على الحرايمي الذي ما زال يعوم في كرشي والشاهي الأخضر المنعنع، وقد فعلت، لكن من حق الدولة أن أحرر لك مخالفة لأنك شوهت الشارع بالقاذورات"(خشيم. 2019. 39) .

فشل حسن الكواش من الظفر من– شرادة– التي كان يحدثه عن جمالها وبهائها مصباح بن خليل الدنجال،(خشيم. 2019. 45)' وفشل مصطفى أفندي عند الاستغناء عن خدماته حين حلت الإدارة الإيطالية التي كان مترجما لها، بقدوم الإدارة البريطانية عقب الحرب العالمية الثانية، عندما فكر في التجارة" فكان تاجرا فاشلا، أنفق كل ما لديه من مدخرات، وباع حلي زوجته الذهبية"(خشيم. 2019. 46).

- **ظاهرة العمى والضعف البصري**

فالشيخ امحمد الشوكي أعمى" إنسان وقور مهيب، كفيف البصر ثاقب البصيرة"،(خشيم. 2019. 77)' وسيدي خليفة لا يبصر شيئا،(خشيم. 2019. 33)' والشيخ عبد السلام كفيف البصر،(خشيم. 2019. 38)' وكذلك صاحب الرواية علي فهمي يصفه شقيقه يوسف قائلا: " يا نحيف الجسم وقصير القامة وكريم العين اليمنى، وضعيف بصر العين اليسرى إثر مرض الرمد الذي ألم بك طفلا ..." (خشيم. 2019. 80) ، زد إليهم زوج –جفالة– فقد" تزوجت من فنان كفيف يعزف المقرونة، ولا أحد يضاهيه في عزفها"(خشيم. 2019. 59)

وأيضا العجائز الثلاث اللاتي يدعوهن مصطفى أفندي كل حين للسهر والعشاء معه، فتأتيه" رغم عدم بصر إحداهن وضعفه عند اثنتين منهن"(خشيم. 2019. 60).

- **ظاهرة عدم الإنجاب**

بداية بالحاجة –جفالة– التي" تحب كل الناس، خاص الأطفال، فهي أم لهم جميعا؛ لأنها لم تنجب"(خشيم. 2019. 59) ، وأيضا هناك" عمارة والعمّارية شخصيتان

شهيرتان في هذا الشارع، زوجان لم ينجبا أولادا"(خشيم. 2019. 54) ، وكذلك زوجة والد شرادة، حيث تزوج أبوها من امرأة لم تنجب،(خشيم. 2019. 63)' فهؤلاء لم يخلفوا ذرية، ونلحظ تعالق هذا المستوى مع تداولية خيبة الأمل وعدم النجاح المطلق في الحياة الذي تم إقراره سلفا.

خاتمة البحث

من خلال العرض السابق إلى النتائج الآتية:

*. جاءت حركة البحث مؤسسة على رصد الآليات الإقناعية المتعلقة بالخطاب السردي، فأثارت عدة إشكالات وتصورات حول طبيعة تلك الآليات المرتبطة بالبعد الاجتماعي من جهة، وبالخواص الكامنة في آليات الخطاب الإقناعي من جهة ثانية.

*. اعتمد الخطاب الإقناعي في الرواية على استراتيجية الإقناع بالتكرير، أي استحضار الشيء أمام الإنسان حتى يتعلق به شعوريا، سواء كان على مستوى الألفاظ أو المضمون، فجاء هذا ربطا بين أجزاء الخطاب تحقيقا لقيمة الإقناع.

*. يلاحظ لدى وصف الشخصيات توزيع عملية الوصف بين نمطين من الاستخدام اللغوي، فتقدم تارة أسماء الشخصيات على صفاتها، أو العكس، وأن الشخصيات الأجنبية غالبا ما تقدم صفاتها على مسمياتها. بخلاف العربية.

*. طغت هنا الألقاب المستقاة من هيئة الشخصية أو طبيعة عملها وحياتها، لتكون عاملا للتحصيل الخطاب الإقناعي، وعلى قدر تلبس اللقب بالذات ينجز القدر الأوفى من الإقناع في الخطاب الروائي، والمعتمد أغلبه على عنصر السخرية والطرافة، فكان حضوره إعادة إنتاج جديدة للإطلاق الأول.

*. من بين ما أسس الخطاب الإقناعي جملة من التداوليات مثلت تعزيزا لمستوى الإقناع في الخطاب، فهناك الاستخدام الهندسي، واستخدام دلالة عدم الإنجاز، واستخدام ظواهر متعددة كالعمى، والعرج، وعدم الإنجاب.

*. فاعلية السرد في الإقناع، فتضمنت الرواية سردية القصص، في الموروث الديني والشعبي والأسطوري.

*. إلى جانب عمدة التأويل المتعقب للإطلاقات الوصفية في الرواية، فكثيرا ما تعقب الأحكام والتوصيفات بالتعليل والتأويل المفضي لمزيد تمكن الإقناع في خطاب الرواية.

مراجع البحث

1. أزمينكو. فرانسوا. ترجمة: سعيد العلوش.2002. ***المقاربة التداولية***. مركز الإنماء القومي. المغرب.

2. حمودة. طاهر. 2000. ***دراسة المعنى عند الأصوليين***. الدار الجامعية. الإسكندرية

3. خشيم. علي فهمي، يوسف. 2019. ***شارع الديس***. دار ومكتبة الشعب للنشر والتوزيع. مصراته.

4. الريفي. هشام. 1998.***الحجاج عند أرسطو***. ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم. منشورات كلية الآداب منوبة. تونس.

5. السعران. محمود. 1962. ***علم اللغة مقدمة للقارئ العربي***. دار المعارف. الإسكندرية.

6. الشهري. عبد الهادي. 2004. ***استراتيجيات الخطاب. مقاربة لغوية تداولية***. دار الكتاب الجديد المتحدة. بيروت.

7. العبد. محمد. 2005. ***النص والخطاب والاتصال***. الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي. القاهرة.

8. العسكري. أبو هلال.1952. ***كتاب الصناعتين***. دار إحياء الكتب العربية. بيروت.

9. العمري. محمد. 2002. ***في بلاغة الخطاب الإقناعي***. أفريقيا الشرق. بيروت.

10. الفقي. صبحي. 2000. ***علم لغة النص***. دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت.

11. كريستيفا. جوليا.1997. ***علم النص***. دار توبقال للنشر. الدار البيضاء.

12. كولر. جونثان. 2003. ***مدخل إلى النظرية الأدبية***. جوناثان كولر. المجلس الأعلى للثقافة. القاهرة.

13. نحلة. محمود. 2002. ***آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر***. دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية.

14. يونس. محمد. 2007. ***المعنى وظلال المعنى***. دار المدار الإسلامي. المغرب.